نــص مسرحي:

ميتــامــــورفـــــوز

نــجيب طــلال

إهـــــــــــــــداء

بكُـل مـحَـبــة وإخــلاص

لـذوي الإحــتيــاجات الـخاصـة .

الشـــخـــصـــيـــات

((1 - أصـــوات مختـلفـــة

((2 - الصـمـاء: فـتاة في مقتبل الـعمر

((3 - الأعمـى: شـاب من أواسط العقد الثالث

((4 - الحارس: رجـل يبدو في عمر الخمسـينات

فـي سـيـاق النــص:

لا أخفي سرا؛ بأنني فوجئت بأن المخيلة التي أفرزت هذا المعطى التخيلي؛ بأن هناك شبيه للنص في سياق الشخوص وتفاعلها. واكتشافي لهذا من خلال مجلة – سيدتي - تحت عنوان مثير جدا [زوجة صماء ترشد زوجها الأعمى طيلة 15 عاماً] بقلم افتكار القاضي وبتاريخ -2019/01/19- ونحن نحاول اختيار الصور المناسبة لكي تكون واجهة لغلاف هذا العمل المتواضع ؛ بتواضع أحداثه . فمضمون هذا كالتالي{.... وتعيش الزوجة الـ"صماء" "جاو تشن هوا" 75 عاماً، مع زوجها الكفيف "وي هونغد" 77 عاماً، وذلك منذ زواجهما قبل 50 عاماً. وفقد الزوج بصره قبل 15 عاماً، ومنذ ذلك اليوم وزوجته تقوده، حيث تمسك بعصا في يدها وتسير أمامه، فيما يمسك هو بالطرف الآخر للعصا ويتبعها، ويتبعان تلك الطريقة في كل شيء يفعلانه وحتى في أوقات التنزه....} فالتقارب هنا: أن أعمى لم يولد كذلك؛ بل فقد بصره نتيجة أخطاء إما تدبيرية/ أسرية وإما طبية. ولانعْـرف متى؟ هل في طفولته أو بعدها بقليل وذلك من خلال حِـواره المبهم : (مرت الأيام تلو الأيام؛ فعدت لا أرى سوى السواد في السواد....) وبالتالي رمته أمواج البحر ليصادف فتاة صماء ؛ ليتعاشر في تجاذب أطراف الحديث على الساحل مبرزين أحداث الواقع/ الحياة كما يشعران بها؛ وبالتالي كانت الصماء هي عينه والبوصلة التي تحميه ; وترشده من خطر/ أخطار البحر وصخوره. فالمثير في هذا السياق أن زوجين – الصينيين- ظلا يتحبان ؛ حتى اصبحت علاقتهما أنموذج متفرد . وحسب المصدر يقول: أحد القرويين أن تلك العلاقة مثال حي

للزواج المثالي، وعلى شبابنا اليوم أن يتعلموا منهما. مقابل هـذا فالعديد ممن وصفوا الزوجين بـ[الصورة الحقيقية للحب] وبشكل إيحائي؛ أن الأعمى في سياق النص أضحى يحب الصماء؛ وهذا طبيعي؛ طبقا للوضع الزمكاني الذي وجـدا فيه ووضعا فيه. وهـذا يتمظهر أساسا في الحوار- الأعمى: (ألحق بها أيها الحارس؛ إنها صماء... هل تسمعني؟ هل تسمعني؟ أم أنك أصم مـثلهـا) وهـذا الحوار ما قبل أن يلتقيا في حوار واحد الذي يكشف سر الترابط النفسي والشعوري والاجتماعي .والإيديولوجي بينهما:(خلف الظـلم ظالم بجوار الظالم آثـم.... خلف الظـلم ظالم بجوار الظالم آثـــــــــــم)

قـــــبـــل الـنـــص:

عبر الإرهاصات الفاعلة في ذاتية الذات المفكرة في أوضاع ما يحيطها من إشراقات وإحباطات وهُـنات ؛ يتشكـل الفعل الإبداعي رغم أنف الحواجز والمعيقات الداخلية؛ وبالتالي فوضعية الهجرة السرية؛ التي تفاقمت بشكل فظيع في كل أرجاء المعمور؛ نتيجة أوضاع اقتصادية صرفة ؛ يعاني منها [المهاجر] بحْـثا عن عَـيش رغيد وهـواء يحمل نسمات الحرية والكرامة ؛ ومن المرتكز الاقتصادي كأساس، أمست الحياة شبه ميتة في نظر العديد من المواطنين والمحتاجين؛ وهذا تعبير نجده في سياق النص كالتالي: الكل هنا مَـيِّـت ! الحُـب؛ مَـيِّـت

! اللقاء مَـيِّـت ! الصفاء مَـيِّـت ! الفـعل مَـيِّـت ! الإخلاص مَـيِّـت !

كل شـيء في هذه الدنيا مَـيِّـت في مَـيِّـت..... ممـا تفاقمت الهجرة السرية أو غير الشرعية . مفرزة أسرارا غامضة ؛ تندرج في عملية التحول أو الاشكالية – ميــتـامورفوز- ومن خلالها أعـطت حكايا مأساوية وأساطير تحَـيِّـر العقل أثناء سماعها أو مشاهدتها؛ والتي تندرج ضمن المسخ؛ الذي اجتاح العديد من الأماكن؛ التي تحولت في نظر المتدمرين ؛ وعدم القناعة بواقعهم إلى ظلمة والتي يعبر عنها – الأعمى – كالتالي الظلمة تتمدد... إنها تلف جسدي كـداء الشر؛ الذي يخاف منه كل العباد...روحي تخْـتنق... الاختناق يقـترب ؛ هل هناك من يفـك حصاري ... ؟ هل هناك من يفُـك ظلمتي...؟ لا أحـد يستطيع مـحو الظلمة ؛ إنها تسيطر على الكل.... العمى حجب مسيرتي... مَـسخ مساري... الحيرة سليلة الدوران...

فهاته الصرخة تحمل ازدواجية المعْـنى؛ بأن العمى ظلمة و الحياة كما يشعر بها المرء من الزاوية السلبية كذلك ظلمة . فمن هنا ؛ سعى الأعمى الهجرة لفضاء النور والضوء؛ وهنا تكمن ميتامورفوزية الحياة؛ فحتى الأعمى الذي يحتاج لرعاية ومساعدة في تحركاته وحركياته الخاصة والعامة. ينخرط مرغما في الهجرة السرية؛ بعيدا عن عوالم فقره ؛ وإن كان لا يدرك أنه جوانية الهجرة السرية ؛ سيصادف نوعية أخرى من الجنس البشري يندرج في إطار ذوي الاحتياجات الخاصة كذلك ؛ ومن الصعب التواصل معه أو التفاهم معها؛ والمتمثل في الفتاة الصماء؛ التي تبحث عن الحرية المتجسدة في روح أبيها الذي تنتظره انتظارا لا يوصف. فهذا التقابل المتعارض. يفرز مظهـر التحول في مسار الإنسان؛ وإن كان الهدف واحد ؛ البحث عن الحرية/ النور/ الانعتاق/ وما الجانب الاقتصادي إلا جزء من أزمة

الإنسان. لكن المسخ في تشكلاته يبرز كأخطبوط يفجر ويصنع إشكاليات التي بشكل أو آخر يصير بطبيعة انوجاده كمنظومة تسيطر وتتحكم عبر امتداداته وأفقه ضد الكل وضد العلائق؛ التي تنتهي بمآسي أبسطها القتل الذي تم في حق الصماء ؛ لأن العالم أمسى أمام المسخ أصم ! فلا أحد له استعداد لسماع حوار الآخر؛ لـماذا ؟

هل نتيجة لطبيعة التحولات التي طرأت على طبيعة البشر أم على طبيعة جغرافية البشر؟؟

ميتامورفوز

ظلام تام ؛ مرفق بموسيقى هادئة وساحرة. برهة يسمع صراخ امرأة في حالة مخاض؛ ثم صراخ امرأة ثانية في حالة ولادة ؛ فتظهر صورة عبر (الفانوس السحري) لدور القصدير؛ وصراخ المخاض يزداد؛ ثم تظهر صورة أخرى لدوار من إحدى البوادي ثم أخرى من إحدى الفيافي الصحراوية ؛ وصراخ الولادة يزداد ويزداد ؛ ثم ينقطع الصوت ؛ فتسترسل موسيقى خليط من الأواني والصفارات والضجيج ؛ ثم تبدأ بالخفوت ؛ ليسمع صوت الجماعة ؛ عبر الكواليس أو عبر تسجيل

صوت الجماعة:

من حيث لا ندري؛ في دور القصدير

نجْري ونجري ثم نَجْري

في زمان يحاصرنا

يغْتالُنا

يُقَزِّمُنا

يَمْسخُنا

عَـورتنا مكْـشوفة والصمت حليفها

في دور الـصفـيح ؛ وفي الصفيح

تجـرعنا الألَـم والحَيْـرة

وهُـم على الأرائك يتفكَّهون!

يُـزيفُون الصُّـورة.

يمارسون الـوقاحة

بـكل صراحة.

يـخْـفـونَ الحقيقة من الساحة!

بنخوة ينامـون على الكراسي!

لكي لا يروا قهرنـا المعْـلن!

مــعْـلن في موتـنـا المـؤجـل.

[تبدأ إضاءة فوقية نتعكس على برميل لونه أبيض ؛ ثم تنعكس إضاءة جانبية على برميل أخر لونه أسود ؛ وتبدأ الإضاءة تتلاعب بين البرميلين؛ وتسترسل موسيقى الناي بإيقاع حزين؛ مرفوق بضجيج الأواني . تتوقف الموسيقى بشكل مفاجئ. ويسمع صوت يصرخ من داخل البرميل الأسود]

الصوت1 : من يبدد هـذه الظلمة القاتلة ؛ من يزيل هذه الظلمة المرعبة. إنها مرعبة ؛

قاتلة ..قاتلة.....

[يسمع صوت يصرخ من داخل البرميل الأبيض]

الصوت 2: ماذا تقـول ؟ أين أنتَ ؟ ماذا تقـول ؟

الصوت1 : منْ هـناك ... من معي في هَـذه الظلمة ؟.. ظلمة خانقـة....حـقا إنها

...خانقة ؛ خانقة جـدا... أين الشموع ؟ أين المصابيح ؟ أين الفوانيس؟

لتنير سبيلنا (ظلام تام) إن الاختناق يزداد ضراوة... يزداد قـوة.

الصوت 2: لم أسمعْك جيــدا ؟

الصوت1 : إنها العـزلة عن العالم ؛ يامن لم تسمعني....؟ ما أقسى العيش في هاته الظلمــة ...إنها تزداد...؟ إنها تمسخـنا ؟ لـقدْ حولتـنا لأجْساد بدون معنى ....؟

الصوت 2: وما أقسى العَيش في هذا الصمت... إنها مهزلة المهازل... أتسمعني ؟

الصوت1 : الظلمــة مهزلــة.

الصوت 2: الصمت أم المهازل .

الصوت1 : الظلمة تتمدد... إنها تلف جسدي كـداء الشر؛ الذي يخاف منه كل العباد... روحي تخْـتنق... الاختناق يقـترب ؛ هل هناك من يفـك حصاري ... ؟

هل هناك من يفُـك ظلمتي...؟ لا أحـد يستطيع مـحو الظلمة ؛ إنها تسيطر على الكل ....

الصوت 2: ماذا تــقـول يامَـن تطلب النــجدة ؟

الصوت1 : لـسْت غارقا...بل أعـيش الظلمة .

الصوت 2: هل الأمطار تسقط ؛ حتى تريد مِظلــة ؟

الصوت1 : أريد نورا يضـيء حياتي ... يامن تسمع صرخـتي... الظلمة أنهت أحلام طفولتي .... وشبابي قلبه يشيخ؛ ويذبل رويدا رويدا ... وحسراته ... ! وحسراته! ...

الصوت 2: حشرات.... هل في مكانك حشرات كمكاني .

الصوت1 : (بهدوء) مـن أنتِ ؟ من تكونين ؟ فمـن أي مـكان تتكلميــن ؟ (صارخا)

مـن أنتِ ؟ هل إنسيــة أم جـِنِيَّـة ؟ مـن أي مـكان تتكلميــن ؟

[تسترسل موسيقى كناوية صاخبة ؛ ويبدأ حبل متين ينزل من الفَوق ؛نحو البرميل الأسود. فتنخفض الموسيقى؛ وصاحب الصوت (1) يبدأ في الصعود من البرميل الأسود ؛ ليظهر بلباس كله أبيض؛ ونظارات سوداء؛ وفي يده عصا بيضاء؛ وهو يتحسس في الحبل ومحاولة الإمساك به وهو داخل البرميل]

الصوت 2: (تخرج من البرميل الأبيض ؛ ترتدي لباسا كله أسود) ما هـذا ؟ ما هـذا ؟ مستحيل في المستحيـل ....صمت في صمت ؛ مستحيل هـذا الصمت الرخيص... صمت يحيطني... هُـدوء يحيط مكاني...لماذا توقفَتِ الأصوات على الصراخ؟ مَـن أخرسهم... ؟ أكيـد لا أسمع أصواتا... ولا كلاما...ولا صراخا....منذ زمان؟ ربما لم يعد التعبير مسموحا... والكلام التافه مسموح ربما... والضجيج على ما يبدومسموح به...ربما أصبح الصمت مباحا.... والهدوء مقبولا...و السكينة فضيلة...ماذا أصابنا ؟ ربما أنني صماء. مستحيل أن أكون صماء... إنني أسمع أمواج البحر...نعم هي أمواج من بعيد...

(تضحك بشكل هيستري)

الصوت1 : (يمسك في الحبل جيدا) يامن تمد حَـبلك... ارفعني جيدا؛ إلى الأعـلى .... أخرجني من هاته الظلمة التي مسخت النور... النور مفقود ... كأنني في قبر يا صاحب الحبل حاول ثـم حـاول أن ترفعني إلى الأعلى؛ أرجوك اخرجني من هاته العتمة ؛ربما لا تراني جيدا (يتمسك بالحبل جيدا) أخرجني من هـذا القبر اللعين... إنَّـه قبر بلا لـحْـد يا صاحب الحَـبل... !.أتسمـعني ؟ صمت رهيب يحيطني... يا صاحب الحَـبل ! هل الحبل نور؟ أي نور وصاحبه

صامت ...هل صوته يعيش مسخا وسط العتمة القاتلة بحلاوة وعودها...الكل في العتمة هـائم (يلعب بالحبل) لماذا ولدت وسط الشعارات والمواقف الخادعة يا صاحب الحَبل ! ألا تستطيع أن تجيبني عن أسئلتي؛ لتزول حيرتي.

الحيرة ... تقتلني... اليأس يضاعِف قوته لكي لا أكون... متى كنت لأكون ... العمى حجب مسيرتي... مَسخ في مسخ ...ولا ندري لماذا هذا المسخ ؟...الحيرة سليلة الدوران... اليأس سليل العزلة القاتلة... إن صمتك هذا يخفي سرا رهيبا لولادتي... هَل الحبل جوابه ؟ ممكن....فالرحيل إلى الذات أجدى من التيه والدوران في فلك التشتت...الرحيل إلى أديم آخر أهون من دورالقصديروالوحل والطين والذباب والضجيج .فضاء آخر ربما سيضمد جراحي ...ستتنفس روحي بعيدا بعيدا عن هذه العتمة...عن هذا الصمت المريب...

[ظلام مفاجئ؛ مع قرع الطبول بشدة ؛ تظهر خلفية في وسط الركح؛ تشير للبحر و هيجانه؛ وفي الوسط تقريبا صخور على شكل سفينة .فمن الجهة اليمنى؛ إحدى الصخور فوقها أعمى، مرمي في حالة غيبوبة . وفي إحدى الجهات صخرة متوسطة؛ تجلس عليها الفتاة الصماء ؛بعدما فحصت الأعمى جيدا؛ حاملة عصاه الأعمى ونظارته؛ وهي تتأمل في الجُـثة]

الصماء : (تحرك جسده بالعصا) إنه يتنفس ؛ عجبا لم يمت... ! كيف وصل هـذا الأعمى ؛ لهـذا الساحِل الموحش إنه ساحل مقفر وخالي؟ تلك هي حقيقته ...هل انكسر قاربه ؟ هل غرق وسط البحر؟ أم غرق في بلدته وجرفه المد والجزر إلى هنا ؟ إن كانت هجرته سرية؛ فأين الجُثث الأخرى ؟ أين أشلاء المركب الذي كانوا فيه ؟ كيف هاجر وهو أعمى ؟

[تحاول إنهاضه ؛ فيبدأ بحركات ثقيلة؛ وهو يسعل ويقذف المياه من جوفه]

الأعمى : (يجْلس جنبا على الصخرة) أين أنـا ؟ ومن أنا ؟ ما اسمي ؟ لماذا جسدي مبلل هكذا ؟ كيف حدث هـذا ؟ أيـن أنــا ؟

الصماء: (تمد له النظارة السوداء) خـذ نظارتك وعصاك ؟

الأعمى: أين هِـي عصاي (يتحرك عفويا لأخذها) من أنتِ ؟ من رماني هـا هُنا ؟ من أنتِ... قلت من أنتِ ؟ هل أنـتِ جِنِيَّـة أم إنسيَّة ؟

الصماء: البحر هائج ؛ والأسماك طارت و هجرت أعشاشها..

الأعمى: (يحرك الصماء بقوة) اسألك من أنتِ ؛ وتقولين البحر هائج ؟

الصماء: لا أسمَـعك ؛ يــاهــذا ؟

الأعمى: ولكن تريننـي ..

الصماء: (تأخذ بيده ؛ متجهة إلى الصخرة المتوسطة) لقد كنتَ شِبه مَيت هـاهنا في الساحل . والرب حماك من شـر الموت .

الأعمى: الكل هنا مَيّت ! الحُب؛ مَيّت ! اللقاء مَيّت ! الصفاء مَيّت ! الفعل مَيّت ! الإخلاص مَيّت ! كل شيء في هذه الدنيا مَيّت في مَيّت.....

الصماء: ماذا تـقول يا رجـل ؟ لا أسمعُك جيدا ...الصمت دائما مصيرنا...إنه قدر أجوف يامن يحيطك الصمت مثلي!!

الأعمى: تحيطني الظلمة يا أختاه (يجفف منديله وأكمام لباسه) بدورك مسخوك حتى لا تسمعينَ نسمات الوجود الحق... الكل مسخـته الأهواء والرغبات ...المسخ

شـوَّه صورتنا؛ إرادتنا؛ قدرتنا.

الصماء: المرْكب الذي كنت فيه ربما تكسر عن آخره ؟

الأعمى: (يضحك) أي مركب ؟ لقد كنت في براكتنا بدور الصفيح ؛ استمع بهدوء ل أصوات وطقطقات سقف القصدير الذي تتلاعب به الرياح الرملية جنوبا؛ والرياح البحرية شمالا ؛ كنتُ في براكتنا أتأمل للأغاني التي تشوه حقيقة العميان مثلي... وإذا بي أسمع صرخات نساء وأطفال الدوار....

[بالإمكان استعمال = الفانوس السحري = يظهر صورا لمحاولة عملية هدم إحدى دور القصدير؛ وتصدي الساكنة للسلطة ؛ مرفقة بأصوات خارجية]

الصماء: هل كنت وحدك في المركب؛ أم معك مهاجرين آخرين ؟

الأعمى: (يضحك) إذن العمى ليس مسخا؛ ما دمتِ لم تسمعي ما أقوله!

الصماء: اللقلاق هجرت البحر منذ زمان؛ وتبعها النورس....

الأعمى: لقد تبعَتنَا جرافة؛ لضمان سير عملية الترحيل ؛ فحملت معها براكتنا للأعلى ثم هوت عن آخرها ....التهمة نعيش في سكن غير لائق؛ حاولت مقاومة بعض الأعوان لأنهم سيقدرون عماي لكن هراوة طائشة نزلت علي ؛ لأجدك أمامي... ما أفظع هدم البيوت فوق رؤوس المحتاجين والفقراء بدون مقابل!!

الصماء : أفكر دائما هل الأسماك تتزوج شرعيا أمْ لا .....و...

الأعمى: (يقاطعها بسرعة) ولا يتهمون بأنهم مجرد محتلين للبحر؛ ولا تمارس عليهم عمليات الهدم بالليل والنهار...

الصماء: وهل الأسماك تمارس احتفالات الزواج مثلنا ؟

أعمى: (ينهض) تـعيشين وهْم الحكايا ؛ حكايا الجدات... فكل الحكايا هـي تضليل ووهْم ، في زمن الأوهام .

الصماء :أه ؛ ما ذا قلتَ ؟ لم أسمع جيدا ؟

أعمى: (يهم بالانصراف) ومتى أسمعونا الجيد والمفيد ومتى سنسمعه ... في أزمنتي ارتضيت بالعمى وجها لكي لا أرى نـفاق الناس وزيـف الواقع ! وها أنذا الآن أعاني من آفة الصمت... صمَـمَكِ سيدتي أسـقطني في عـذاب يتشابه بين الفصول والنهـاية.... كلامي أمسى سرابا لمسمعك ! وجوابك عذاب لمسامعي ....ها نحن في مكان واحد ولكن غرباء.... غرباء ...لا أعـرف أسمكِ ولا اسمي؛ ومن تكونين حـتى ؟

الصماء: الغـراب جميل ؛ رغم أنه أسود اللون ! هل سمعت عن حكاية الغراب والثعلب

(يبتعد قليلا عن الصخور وتقترب منه الصماء) إلى أين سـترحل ؟

الأعمى: ألا يكفيك هذا الرحيل؟ مكان لا أعرفه ولا يعرفني؛ ولا أعرف كيف ؟ ومتى؟ وصلت إلى هـنا ؟

الصماء: هل أحك لك حكاية الغـراب والثعلب ؟

[يدفعها الأعمى لا شعوريا فتسقط أرضا؛ وتبدأ الإضاءة المتوفرة تتراقص؛ وتتلاعب ؛ كأنها في صراع حاد]

الأعمى: (يبتعد إلى حافة الركح) كل الحكايا قناع لحقيقة ما يقع وراء الجبال والمداشر الحكايا زيف لما يحدث الآن وقبل الآن! فهي وهم في وهـم كل الحكايا... مـن

الأجدى أن تحكي لماذا ولدت هاهنا...لماذا وضعت في سقف مهترئ ؛ تتسرب منه حرارة الشمس القاتلة لجسد كل ساكنة دور القصدير وغيره. إن جسدي أمسى مخروما لتزيد الحرارة في ضعْف قدرتي... وعظامه أصبحت هشة بفعل البرودة ليلا....

الصماء: هل أحك لك عن السمكات الثلاث... إنها لذيذة وروعـة.

الأعمى: (يتحسس للوصول إليها) ألآ تعرفين أن تحكي لـحظـة: عن وجع الصمم الذين تعيشينه...الصمم موت لصوت الحياة؛ مَـوت يهددك في كل لحظةٍ ...فيا هول الكارثة ؛ إن كُـنا نسمع سوى الصمت ! احكي يومـا عـمن يفكر بالرحيل تاركا تربته و إخوته وأحباءه...تاركـا ذكريات طفولته وشبابه ؛ ذكريـات في مهب الرياح... و لكن إلى أين...؟ لا يدري إلى أين تسير بـه سفينة الـرحيل ؟.... احكي ساعـة : بأنني منذ ولدتُ ما شربتُ حـَليبا لذيذا... ولا تلذذت بطعام نـقي وممتع... ولا لمست لباسا نظيفا...ولا فَـرحتُ بلعبة أو ركبت أرجوحة... ليس لأنني أعمى بل لأنني فقير محتاج. احكي يوما أن هناك مثلي مـا أكلـوا زرعا ولا سمـكا طريا.... وهـا أنـذا لا أعْـرف أين أنا ؟ لأن كل الخرائط تتشابه... وفي تشابه .....

(يصرخ ويتحرك اعتباطيا بين الصخور والصماء تحاول منعه)

وقبل أن أكون ذاك المعتوه... لا أحد كان يقترب مني... الكل كان مبتعدا عني؛ إنهم متواطئون في ممارسـة لعبة رفض وجودي.. تساءلت وتساءلت ؛ حتى كاد دماغي سينفجر يوما : كيف تشتعل القناديل فرحا ؟ كيف يكون الضياء؟ هل ذاتي ترفض ذاتها؟ أم أنني نـتن الرائحة ؟....إن الروائح والعطور تبخرت ؛ كأنني

أمْـلك عاهة مُعدية ؛ وغدتْ صورتي قناعا ممسوخا... فمـن مسخني هَـل القدر أم البشرُ ؟ كيف كان لي أن أكتشف ذلك ! والمرآة لم تكن موجودة أصلا في فضاء سراديبه إنـها العتمة أعماقـه لهاث...لا أمانَ و سلام فـيـه ؛ فضاء كان لا يشعرُني بالطمأنينة...؟

[تتوقـف الإضاءة عن التلاعب ؛ ويسمع هيجان البحر؛ وتلاطم الأمواج]

الصماء : البحرُ هائجٌ و الأمواجُ عاليةٌ؛ المَـدُّ و الجزرُ؛ يلـخبِـط الأفكار ...فبعض الأفكار تتوقف وبعضها يتحطم في البداية ! صاحب تلك الأفكار يتلعثم تارة ... والآخـر يخاف من المَـد والجـزر.... ولكن مَـنْ ....مَـنْ أتـى بِـك إلى هـذا الساحل المخيف...؟

الأعمى: (يضحك) هل أنت صماء أم مجنونـة ؟

الصماء: (تقترب منه جدا) بخلاف السمكات الثلاث كن يعِـشن في بركة ماء...

الأعمى: (يضحك) عادت بنا لتحكي حكاية السمكات الثلاث ... إنها جِـنس امرأة؛ ما تريد قوله ستقوله رغم أنف الجميع ...(يجلس على الصخرة؛ ويطأطئ رأسه)

الصماء : (تتحرك بسرعة) كانت ثلاث سمكات صديقات يعِـشن في بركة ، السمكة الأولى جميلة الشكل ، معجبة بنفسها ، ولكـنها كانت كسْلانة ؛ والثانية كانت ذكية لكنها مُهمِـلة ، أما الثالثة فكانت عاقلة مدبرة.....

(ترتبك وتتجه نحو الأعمى)

هيا اخفض جسدك للأسفل ....بسرعة اخـتبئ... فـحـراس الساحل قادمون...

بسرعة اختبئ..

الأعمى: (مرتبكا) أين أخْتبئ يا امرأة ؟

الصماء : وراء الصخرة....

الأعمى: وهَل أراها؛ حتى أخْتبئ وراءها ؟

الصماء: (تمسك بيده ؛ وينحنيان؛ ويظهر إلا رأسهما) من مَسخَك حَتى لا ترى نـُورالحياة ؟

الأعمى: هل العمى مسـخ ؟

الصماء : (تتلعثم) لا ... ولكن...أقصد.. هَل ولدتَ فاقد البصيرة ؟ أم حالة مرضية ؟ أم خطأ في الرعاية والاهتمام ؟

الأعمى: (يتحسس الصخرة) أنت على دراية بحالة ذوي الإحتياجات الخاصة... أين عصاي ؟ أين عصاي ؟

[تزحف الصماء نحو العَصا ؛ ما إن أمسكتها؛ حَتى وضع الحارس رجله اليسرى ؛ على العصا ولكنها تحاول التراجع على بطنها. لكن الحارسَ يسدد بندقيته نحوها؛ فتقف على ركبتيها؛ وهي في حالة ارتباك]

الصماء : يـا هـذا أنـا لستُ مهاجرة سـرية....

الأعمى: ماذا وقـع ؟ أين أنتِ يا أخْتاه ؟

الحارس: أه ... من أين هذا الصوت ؟ (يصرخ) من صاحب هذا الصوت؛ تكلمي وإلا فرغت رصاصة في رأسك ؟

الصماء : أنا من منطقة – كونينك- أبحَث عن الحوت الذي أكل أبي .

الحارس: (يصوب بندقيته في جبهتها) من صاحب هذا الصوت؟

الصماء : فقالت السمكة العاقلة : هَل عرفت الآن أنني كنت على حق عندما أسرعتُ بالابتعاد عن البِركة والضفادع ؟

الحارس: (منفعلا) أي سمكة ؛ وأي بركة ؟ يبدو أنك حمقاء !

الصماء : (تزيل البندقية من جبهتها) لقَد خسرت صديقتنا السمكة؛ حياتها بسبب غرورها وكَسلها وكادت الأخرى أن تقع في يد الصياد بسبب إهمالها....

الحارس: (يصفر بصفارته) سأستدعي القوة لترحيلك للمركز؛ ثم مستشفى الأمراض العصبية.

الصماء : العصا؛ نعم العصا... نسيت أن أمدها له ...

الحارس: (يسمح لها بأخذ العَصا) لمن هاته ؟

الصماء : هَا هي عصاك يا أخي... خذها ولا تخف.

الأعمى: ممن سأخاف؟

الصماء : (تمسك بيده) الثعلب أكل عَشاء الغراب؛ وتركه بالجوع

الأعمى: انتهت حكاية السمكات فعُدت للغراب والثعلب.

الحارس: ما قصدكما من الغراب و الثعلب ؟

الأعمى: إنها حكاية الجدات ....(يشير للصماء) من هذا ؟

الحارس: (يمسك به بقوة) هذا الذي سيرحلك إلى مثواك الأخير

الأعمى: ألا يكفيك هذا الرحيل؛ بدون رحيل ؟

الحارس: لم أفهم ؟

الأعمى: (يمسك في الحارس) يا الله... لو كنت فهمت كيف رحلتُ إلى هنا ؛ لا انتهتْ

حيرتي وحماقة تفكيري ؛ من دوار - الغالية - إلى ساحل – كونينْـك – مستحيل أن يكون هذا رحيل؛ بل تهجير لم أعـرف صاحبه.

الحارس: اجلس ياهـذا (تتحرك الصماء) ابقي أنت على ركبتيك أيتها الحمقاء.

الأعمى: إنها صمــاء؛ لا تسمع أي شيء.

الحارس: إنها تتحامـق .... كيف تنتظر والدها هاهـنا ؛ في ساحل مهجور وهي أصلا من منطقة مهجورة !!

الأعمى: لا أدري !! ربما تتشبثُ بأمل عودة والدهـا ... فبغيابه تكسر ضوء بيتـهم... كما تكسر ضوئي؛ بخطأ تافه ؛ خطأ لا يقدر حق الطفولة وشغبها

الحارس: (يصوب بندقيته دائما نحو الصماء) كيف وقع لك ؟

الأعمى: (يتنهد طويلا) يطول شـرحه

الحارس: اختصـر في شــرحه

الأعمى: (يبدأ يلعب بالعصا) في ساحة قـريبة ومليئة بالأزبال والقاذورات وروائح البهائم ؛ كنا نلعب نحن أطفال دوار جاميكا ...

الحارس: ولكن قلت قبل قليل أنت من دوار الغالية ؟

الأعمى: أي نـعم ! في تلك المزبلة.... بأقدام حافية ؛ وأجساد شبه عارية؛ نتقاسم طفولتنا الهاربة من طفولتها... وفي إحدى الصباحات المشمسة جدا... عمت زوبعة غريبة... تحمل غبارا له روائح تخنق الأنفاس؛؛؛ اختنقت... وزاد الاختناق أشده... فبدأت دموعي تسيل وتنهمر؛ وبكائي لم ينقطع...

الحارس: لم تجبني هل أنت من دوار الغالية أم جاميكا ؟

الأعمى: هما معـا لأن والدتي كانت لا تستقر في دوار واحد؛ لأنـها تهجرمن دوار

إلى آخر خوفا من العار

الحارس:(يفرك جبهته ؛ ثم يضعها على فوهة البندقية) لم أفـهم جيدا ؟

الأعمى: لم تفهم ... كلنا ذاك الرجل ....فلقد كانوا يـا هـذا يتهمونني أنني لقيط ؛ كباقي اللقطاء بدون أصل ولا نسَـب .

الحارس: كَيـف ؟

الأعمى: (يتهكم عليه) أعـرف أنك لـم تـفهــم ! كانت والدتي ؛ تشيد بوالدي ؛ وببطولته وشهامتـه ؛ ولكن خلسة عيونها تنهمر بألوان بكاء...

الحارس: وهل تتذكر أو تذكرت صورة لوالدك ؟

الأعمى: أبدا؛ ولكن عرفت فيما بعد من أحد الرجال... أن أبي قُتـل في المعْـتقل ...

الحارس: أي مـعـتقل ؟ ألم تسمع هـكذا من والدتك أم معارفك اسم ذاك المعتقل ؟

الصماء :(تتحرك على ركبتيها) أما السمكة الثانية؛ فلقد كانت والله؛ ذكية لكنها بكل أسف مُهملة ، ورغم ذلك تشغل عقلها بسرعة ، وتحْـسن كيفية التخلص ، وتنجو من الكوارث والمصائب في الوقت المناسب .لأنها كانت تعرف كيف تتخلص من الخطر في اللحظة الأخيرة ؛

[يقـف الحارس غاضبا وموجها بندقيته إلى جبهتها؛ وبواسطتها يأمرها بالركوع]

الأعمى: (يبحث عن اتجاه بندقيته) اتركها تتكلم كيفما شاءت... إن لها شوق عارم بلقاء أبيها ... مثل أبي الذي ضاع بين الجدران والقـضبان؛ لماذا ؟

الحارس: ربما كان مجرما أو من قطاع الطرق ؟

الأعمى: لنـفرض أنه مجرم حسب قولك ؛ فمن حوله لمجرم؟ سؤال لا أحد سيستطيع الإجابة عنه... لأن الأفـواه مكـمومة ومحمومة.... فأعلم أنه لا أحـد منا يختار أن يكون كذلك ؟ ولكن الأفـواه اختارت أن تكون كذلك .

الحارس:(يلعب ببندقيته) عجبا للعميان....

الأعمى: (يقاطعه ويتحرك ليمسك بـه) ما العجب فيهم ؟

الحارس: سليطي اللسان.

الأعمى:(يمسك به بقـوة) انتم السبب في ذلك

الصماء: (تضحك بشكل هستيري) حاول الصياد أن يمسك السمكة الذكية بيده ، بعدما جَـرَّ بسرعة شبكته المنصوبة ، لكنها عضته في أصبعـه ، فـبدأ يصرخ ويصرخ ؛ من الخوف المفاجئ وزاد خوفه حينما قفزت بخفة عجيبة ، وأسرعت إلى حيث صاحبتها العاقلة ؛وهي تتألم وتلهث ، وأخبرتها بما حَـدث مع صديقتهم السمكة الكسولة .....

الأعمى: كما حدث لي مع ذاك التافـــه في مهنتـــه

الحارس: (ينهض) أه نسينا حكاية عَماك ؟

الأعمى: مشتاق للكلام....

الحارس: فعلا يا رجـل .

الأعمى: (يتحرك بعصاه ويقف كأنه فقيه في منبر) يا سيدي... يامن تتلذذ بسماعي... الغبار اللعين انغرس و تعمق في عيني؛ فأوصلتني والدتي لمستشفى الحي؛ وهي تلهت وأنا أتألم ؛هي تجري وأنا أصرخ... لكن تركونا ساعات وساعات ننتظر؛ حتى صرخت والدتي في بهو المستشفى... ولا مجيب ؛ وبعد تداخل

صراخها وبكائي المرير؛ خرج ذاك التافه ؛ يتبختر؛ ويمضغ علكا كأنثى ؛ وأنا أراه بين الغمائم التي تتراقص بين عيني ...وضع عليها بُرهَما ؛ دونما عناية ولا تنظيف لعيني ... وفي الصباح لم أعد أرى إلا غمائم بيضاء ؛ وألم حاد في داخل عيني... مرت الأيام تلو الأيام؛ فعدت لا أرى سوى السواد في السواد....

الحارس: (ينهار) هكذا وقع لابني الوحيد؛ وإن كانت الحكاية تختلف قليلا...إنه خطأ وحماقة والدته وصاحب الحجامة الذي جنى على عيون ابني الوحيد .

الصماء:(تقف) كان الجميع يرى شبح الفتاة المعذبة... وهي على سور المنزل تضحك؛ وتضحك ثم وتصرخ وتضحك ثم ترسل صرخات بشكل مخيف ومفزع للغاية ! و أصابع يديها تخرج منها شرارات من النيران الحارقة. وتارة تجلس أسفل نافذة القاتل ؛ وتمارس عليه التعذيب؛ كما عذبها قبل قتلها... أجل قتلها السافل ...

[بشكل مفاجئ؛ تشتعل إضاءة حمراء؛ مرفقة بموسيقى كناوية؛ تبدأ الصماء في الرقص؛ والحارس يرافقها ببندقيته ؛ والأعمى ؛ يتحرك كأنه يحاول الهرب]

الحارس:(متوترا) كفى... قلت كفي توقفي عن شطحاتك ...

الأعمى: إنها صماء... ألم تفهم أنها صماء ؟

الصماء: (تقف فوق الصخرة) ابتعد الناس على القاتل ؛ فظل وحيدًا ...وحيدا في منزله حَتى ساءت حالته العقلية وصراخ الفتاه يلاحقه ؛ حتى أصيب بجنون حاد ؛ ولم يجد سبيلا إلا الانتحار شانقا بحبل متين ؛ نصبه في قبو منزله.

[ظلام بعده تشتعل الخلفية على لون أزرق وأصوات أمواج البحر برهة يظهر شخص على شكل شبح (توظيف خيال الظل؛ بأسلوب الفانوس السحري]

الأعمى: (يرتعد) ما هذا ؟.... طوفان جارف نحونا.... أليس كذلك يا رأسي ؟

الحارس: لا تخف؛ إنها أمواج تتلاطم بقوة مَدِّ الرياح فقط

الأعمى: أبدا ليست أمواج تتلاطم ....بل أشعر بشيء ما....

الصماء: أسمع صوت أبي يلاحقني... إنه هنا... معنا... إنني أسمعه جيدا...إنه يقترب من بين الأمواج ... تركه الحوت ؛ لقد تركه الحوت... أه ... أبي يعود سالما إلينا... ها هو يقترب...

الصوت: يا ابنتي... ها أنذا سأعود إليك... إنني محتاج لحبك... لحنانك ...لعطفك.... سأرتدي وشاح العودة الأبدية ... الساحل لن يعد ساحلا؛ سيتمدد أشجارا؛ في أشجار. يدفئ ثلجَ الميلادِ ؛ ويذوب جليد الغياب... فثبا لمن حولني إلى لا شيء.... اللعْنة لمن حولني قناعا لوجوه آثمة... وجوه في الخفاء...حولتني إلى ذات بدون معنى ... أنتِ ابنتي.. أنتِ الأمل الباقي لدي...لوجودي... ستبقي زهرة بين ناظري؛ بين يدي... لن أتركك ...لن أترك أنوثتك تبقى مبعثرة ؛ ستكون جلمدا ...صخرا ... نقاوم بها كل من خدعنا ...كل من مسخنا إلى لا شيء... لا تحزني بعد اليوم على فراقي؛ ها أنذا أركب صهوة العَودة؛ من رحيل قاتل... لن أستطيع البوح أكثر من هذا... أعماقي مجروحة بدماء الغدر والخديعة... وجهي أمامك مشروح كمرايا مكسرة؛ بألم الدسيسة... قتلوا في

أعماقي النبل والإخاء... لست قاتلا لأبنائي... ... لست قاتلا لأبنائي... ... لست قاتلا لأبناء جلدتي.....

الصماء: (تحاول الاقتراب من الخلفية) أبتي؛ إنني مشتاقة إليك؛ فرحيلك كان غصبا ... فالرحيل صعب والمسير أصعب... هيا اقترب ... احضني بين أحضانك... يا أبتي قهوتك في انتظارك، فنجانك المحبوب ينتظر وسينتظر؛ بلسم شفتيك...

(تبدأ بالجري؛ نحو الخلفية)

الحارس:(يصرخ) توقفي... توقفي عن الجري يا فتاة... تعقلي....

الأعمى: ألحق بها أيها الحارس؛ إنها صماء... هل تسمعني؟ هل تسمعني؟ أم أنك أصم مـثلهـا . يا رجـل زمانــه

الحارس:(يصرخ) لقد أمرتكِ بالتوقف ... فلما لا تتوقفي عن الجري... تعقلي يا أيتها الحمقاء

(يرميها الحارس برصاصة قاتلة ؛ وتبدأ بصراخ الاحتضار)

الأعمى: (يصرخ) ماذا فعلت ايها المجرم ؟ قتلتها... قتلتها بدون رحمة... كفى وكفانا موتي وقتلى برصاص الطيش القاتل.... هل انعدمت الإنسانية والرأفة في هَـذا العالم... القتل في القتل والدماء مستباحة ...الدمار في الخراب والجثث في الخـراب...

الصماء: (تصرخ بألم) أبتي... قتلوا لقاءنا... كيف السبيل أن نلتقي أمام دماء تسيل مني ....آه .... دائما خلف الظـلم ظالم .... دائما بجوار الظالم آثـــــــــم

الأعمى (ينهار) خلف الظـلم ظالم.... بجوار الظالم آثـم..... خلف الظـلم ظالم بجوار الظالم آثـــــــــــــــــم

الصماء والأعمى: خلف الظـلم ظالم بجوار الظالم آثـم.... خلف الظـلم ظالم بجوار الظالم آثـــــــــــــــم.

[يظل الشبح واقفا ؛ وموسيقى كناوية تتصاعد بشكل مفزع ؛ والركح يتلون باللون الأحمر وخلفية زرقاء تارة في تناغم وتارة في تجاذب ؛ والحارس يجلس وينهض بشكل لاإرادي وفي حالة من التوتر بين الصخور]